موقع روح الإسلام
http://www.IslamSpirit.com

تفريغات سلسلة فتاوى جدة

الشريط الأول

العلاَّمة المُحدِّث:

محمَّد ناصر الدِّين الألبانيّ

-رحمه الله-

محتويات الشريط:

1- ما هي الأسس التي ترون من خلال مرئياتكم أنه يمكن للعالم الإسلامي أن ينهض بها؟ (**00:00:08**)

2- من المقصود في قوله: ((**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**))؟ (**00:40:10**)

3- يقول السلفيون أننا في زمان يُكادُ للإسلام فيه، فلابد على السلفيين أن يقوم بالعمل منظم، فكسف السبيل في توجيه هؤلاء؟ (**00:51:01**)

1- ما هي الأسس التي ترون من خلال مرئياتكم أنه يمكن للعالم الإسلامي أن ينهض بها؟ **(00:00:08)**

سائل: ما هي الأسس التي ترون من خلال مرئياتكم أنه يمكن للعالم الإسلامي أن ينهض بها؟

الشيخ -رحمه الله-: ما أعتقده هو ما جاء في النَّصِّ الحديثيِّ الصَّحيح؛ فهو جواب عن مثل هذا السؤال، وعن كثير من الأسئلة التي تُطرحَ في العالم الحاضر؛ وهو قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**)).

الأساس هو الرجوع إلى الإسلام، فالأمر هذا قد أشار إليه إمام دار الهجرة الإمام مالك -رحمه الله- في كلمة مأثورة عنه تُكتَب -كما كانوا يقولون قديمًا- بماء الذهب وهي قوله رحمه الله: "**من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلَّى الله عليه آله وسلم خان الرسالة، اقرؤا قول الله تبارك وتعالى:** ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: 3]، قال مالك -رحمه الله-: "**فما لم يكن يومئذٍ دينًا، لا يكون اليوم دينًا ولا يصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها**". هذه الجملة الأخيرة هي بيت القصيد فيما يتعلق بالجواب عن ذاك السؤال؛ حيث قال رحمه الله: "**ولا يَصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها**"، فكما أن الأمَّة العربيَّة في عهدها في الجاهلية ما صَلُحَ أمرها إلا بعد أن جاءهم نبيهم صلَّى الله عليه وآله وسلم بوحيِ السماء الذي أسعدهم في الدنيا وفي الأُخرَى؛ فلذلك الأساس الذي ينبغي أن تقوم فيه الحياة الإسلامية السعيدة في هذا الزمن **ليس إلا هو الرجوع إلى الكتاب وإلى السنة.**

غير أن هذا يحتاج إلى شيء من التفصيل لكثرة الجماعات أو الأحزاب الإسلامية الموجودة الآن في الساحة؛ لأنَّ كلَّ جماعة تدَّعِي لنفسها أنها هي التي وضعت المنهج الذي به يُمكنُهم أن يحققوا المجتمع الإسلامي والحكمَ للإسلام، فكلهم يدَّعي كما قيل قديمًا:

وكلٌّ يدَّعِي وصلاً بليلى .... وليلى لا تُقرُّ لهم بذاك

ونحن نعلم من كتاب الله ومن حديث رسول الله صَّلى الله عليه وآله وسلم أنَّ السَّبيل الذي به يمكن تحقيق السعادة في الدنيا، ثمَّ السعادة في الآخرة إنما هو سبيلٌ واحد، فلابد من تحديد هذا السبيل ليسلك عليه من كان حقًّا ليبتغي العمل لصالح الدعوة الإسلامية والأمَّة الإسلامية، هذا السبيل هو ما ذكره الله -تبارك وتعالى- في غير ما آيةٍ في القرآن الكريم؛ فربنا -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: 153]، فالطريقة التي تؤدِّي إلى ما ينشده كل مسلم اليوم -ولكن الجماهير لا يعرفونه- إنما هو السبيل الذي أشير إليه في هذه الآية الكريمة.

ولقد أوضح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذا السبيل المذكور في الآية الكريمة بمثلٍ رائعٍ جدًا رسَمَه لأصحابه على الأرض -التي كان من عادته أن يجلس عليها دون أي عظمةٍ أو كبرياء-، فقد خطَّ لهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم -يومًا- خطًا مستقيمًا على الأرض، ثم خطَّ على جانبيه خطوطًا قصيرةً؛ ثم قرأ عليه الصَّلاة والسَّلام وهو يمر بإصبعه الشريفة على الخط المستقيم الآية السابقة: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾؛ ثم أشار إلى الخطوط التي على جانبي الخط المستقيم بقوله بتمام الآية الكريمة: ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾.

في اعتقادي أنَّ الطَّريق هو واحد، فما ينشده كلُّ جماعة أو كل فردٍ من هذه الأمة من السعادة لها في الدنيا والآخرة فلا يوجد هناك إلا هذه السبيل، وبخاصة أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد أتمَّ بيان خطورة الحيدة عن الطريق المستقيم؛ بقوله في تمام الحديث السابق؛ حيث قال: ((**هذا صراط الله، وهذه طرق وعلى رأس كل طريق منها شيطانٌ يدعو الناس إليه**)).

الدُّعاة –إذن– كثيرون، ولكن الداعية الحق إنما هو الذي يدعو الناس أن يسيروا على ما كان عليه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وما اتبع أصحابه؛ ثم من جاؤوا من بعدهم بإحسان، وقد أكد ربُّنا –عزَّ وجلَّ– في الآية الأخرى في القرآن الكريم ما ذُكِر في الآية السَّابقة مع شرح الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام لها في الحديث المذكور آنفًا؛ فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: 115].

فإذن السَّبيل دائمًا يذكر في القرآن مفردًا وليس هناك سبل تُتَّبَع، ولو أنَّ السَّالكين على هذه السُّبل والسَّائرين على تلك الطرق كانت مقاصدهم ونواياهم حسنة وإن أُفترِضَ فيهم ذلك فهم لن يصلوا إلى بُغيتهم، ما دام أنهم لم يسلكوا الطريق الوحيد المستقيم الذي يؤدي بهم إلى مقصدهم المشروع.

ولقد جاء في الحديث الصحيح الذي تتفق عليه كل الجماعات والأحزاب الإسلامية فكرًا؛ ولكنهم يختلفون في تطبيقه سلوكًا؛ أعني به قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم: ((**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة؛ قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي الجماعة**)) هذه هي الرواية المشهورة، وثمَّة رواية أخرى تفسر الأولى؛ وهي قوله عليه السلام: ((**هي التي على ما أنا عليه وأصحابي**)).

فإذن واحدة من ثلاث وسبعين فرقة هيَ الفرقة الناجية –كما صرح بذلك العلماء قاطبة–، وهذه الفرقة الناجية هيَ –فقط– التي تستطيع أن تنهض بالأمة الإسلامية اليوم، وأن تحقق السَّعادة لهم ثم لغيرهم من الأمم الأخرى التي لم تهتدي بهدْيِ الإسلام، ولعل من أسباب ذلك أن المسلمين أنفسهم لم يعودوا –مع الأسف– كما كانوا من قبل– دعاة لأفعالهم وأعمالهم والأقوال وحدها لا تفيد [..] الناس.

فلمَّا ذكر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم أنَّ الفرقة الناجية هي فرقة واحدة ولكي لا يضل المسلمين عن معرفة وصفها هذا الضلال الذي يلزم منه أن يضلوا عمليًا؛ أجاب عن ذلك السؤال: من هي هذه الفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة؟ قال: ((**هي التي على ما أنا عليه أنا وأصحابي**)).

ونلاحظ هنا -بوضوح تام- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لم يقتصر في رده على ذاك السؤال على قوله فقط ((**التي هي على ما أنا عليه**))، لم يقتصر ولم يقف في كلامه إلى هنا ((**على ما أنا عليه**)) وبس، لا، عطف على ذلك قوله: ((**وأصحابي**))؛ **ذلك لأنَّ أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم هم -كما لا شك ولا إشكال فيه- هم الذين تلقوا الوحيَ من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم بقسميه القرآن والسنة غضًا طريًّا، ثم عملوا به وطبقوا أحسن تطبيق؛ ثم نقلوه كما فهموه وكما طبقوه إلى من جاء من بعدهم وهكذا حتى سخر الله -عزَّ وجلَّ- للمسلمين من جمع لهم السنة من بعد ما سخر للأولين من جمع لهم القرآن الكريم بين دفتين**؛ وبذلك اجتمع الوحيان المشار إليهما في القرآن في العديد من الآيات؛ كمثل قوله تبارك وتعالى مخاطبًا نبيه عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: 44]؛ ففي هذه الآية نصٌّ صريحٌ أنَّ بيانَ النبي صلَّى الله عليه وسلم هو شيءٌ زائدٌ عن القرآن وأن القرآن مُبيَّن ببيانه عليه السلام فالْمُبيَنُ شيءٌ والْمُبيِّن شيئًا آخر، شيء زائد عليه، وإن كان لا يخرج عن إنه مُستقىً من مشكاة واحدة -كما جاء النص يصرح بذلك-؛ ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: ((**لا أُلفين أحدكم متكئًا على أريكته يقول: هذا كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً حللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه؛ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**)) وفي حديث آخر: ((**ألا إنما حرم رسول الله مثلُ ما حرم الله**)). ذلك لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- كما صرح في الآية السابقة أنزل القرآن على قلب النبي عليه الصلاة والسلام وكلفه أن يبينه للناس، هذا البيان هو السنة.

لكن هنا شيٌ آخر أشارت إليه تلك الرواية السابقة حينما سُئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الفرقة الناجية؛ فقال: ((**هي التي على ما أنا عليه وأصحابي**)) فأصحاب الرسول عليه السلام ذُكروا في هذا الحديث لهذه النكتة التي سبق ذكرها في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: 115]، ها نحن نقول في هذه الآية حكمة بالغة؛ كالحديث السابق: ((**وأصحابي**))؛ فذكر في الحديث عطفًا على سنته عليه الصلاة والسلام مع أصحابه الكرام، كذلك هنا في الآية الكريمة عطف سبيل المؤمنين على ما جاء به الرسول؛ فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ لم يقل رب العالمين: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا؛ وإنما أدخل جملة عطفها على ما قبلها؛ فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

كأنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم حينما قال: ((**أنا وأصحابي**)) كان –إن لم يكن ذلك وحيًا من الله مباشرةً منه تعالى إليه– كان اقتباسًا من الآية التي كان الله –عزَّ وجلَّ– أوحى بها إليه حين قال: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

فما هي النكتة؟ وما هي الحكمة في ذكر الله –عزَّ وجلَّ– في هذه الآية: "سبيل المؤمنين" وفي عطف الرسول صلَّى الله عليه وسلم أصحابه على نفسه في الحديث السابق؟

الجواب: أنَّ هؤلاء الصحابة الكرام –كما أشرنا سابقًا– هم الذين تلقوا الوحيين مباشرة من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبينًا منه لهم مباشرة دون واسطة كما هو شأن من جاء من بعدهم. ولا شك أنَّ الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام في حديثه المعروف: ((**الشاهد يرى ما لا يراه الغائب**))؛ فلذلك كان إيمان الصحابة الأولين أقوى من إيمان من جاء من بعدهم، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله في الحديث الصحيح؛ بل المتواتر: ((**خير النَّاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)).

فعلى ذلك فلا يستطيع مسلم أن يستقلَّ بفهم الكتاب والسنة بشخصه، بل لابد أن يستعين على فهمهما بالرجوع إلى الأصحاب الكرام الذين تلقوا ذلك عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم مُفسَّرًا مُبيَّنًا تارة بقوله عليه الصلاة والسلام وتارةً بفعله وتارةً بتقريره.

ولعلكم تعلمون جميعًا أنَّ السنة تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة: "قولٌ، وفعلٌ، وتقرير". فإذا ما صرف صارفٌ ما نظره عن هذه السنة وأراد أن يستقل بفهم القرآن مقتصرًا على ذلك باللغة العربية فسوف لا يستطيع أن يصل إلى فَهمِ مراد الله -تبارك وتعالى- من آياته، والدليل على ذلك أن هناك بعض الآيات يتردد فيها لفظ معين؛ كاليد مثلاً في آية التيمم، واليد في آية حدِّ السَّارق ونحو ذلك؛ فتجد الآية تُفسَّر على ضوء ما جاء في السنة، فلا يجوز حينئذ أن يستقل إنسان ما لفهم الآية دون أن يستعين على ذلك بسنة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم بأقسامها الثلاثة التي ذكرتها آنفًا.

فآية -مثلاً-: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾ [المائدة: 38]، اليد في اللغة إذا أطلقت فقد يراد: الكف، وقد يراد: الكف والذراع، وقد يراد: ما فوق ذلك إلى المنكب؛ فبأي هذه المعاني يستطيع من لا يعود إلى السنة -التي هي بيان للقرآن -كما ذكرنا آنفًا- أن يفسر مثل هذه الآية؟

ثم كلمة السارق فهي تشمل كل سارق مهما كانت قيمة ما سرق؛ منحطًا وقليلاً ولا قيمة له تذكر، لابد في هذا وفي هذا وفي غير ذلك أن يرجع إلى السنة بأقسامها الثلاثة.

وأوضح مثلٌ معروفٌ عند العلماء هيَ: الصلاة، التي أمرنا بها في القرآن الكريم والحج والصيام والزكاة ونحو ذلك، لا يتسطيع أحد مطلقًا أن يفهم هذه الأركان التي أُمِرنا بها في القرآن إلا على ضوء بيان الرسول عليه السلام لها بقوله، وفعله، وتقريره.

فإذا كان الأمر كذلك فلابد للرجوع إلى السنة مع القرآن؛ لأن السنة تبين القرآن -كما ذكرنا آنفًا في الآية الكريمة-: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: 44].

يبقى هناك شيء آخر –وهو بيت القصيد الآن في كلمتي هذه –في آخر هذه الكلمة أو هذا الجواب– وهو: الصحابة الذين نقلوا إلينا أقواله وأفعاله وتقاريره، أقواله صلَّى الله عليه وسلم ما نعرفها من القرآن الذي مرويٌّ بالتواتر –كما هو معلوم–، وإنما نعرف ذلك من السنة. تقاريره عليه السلام –رأى شيئًا فأقره– لا نعرف ذلك إلا من نقل الصحابة وليس من قوله عليه السلام؛ **فإذن كان من الضروري جدًا أن نضم إلى الدعوة إلى الكتاب والسنة** –كما نقول دائمًا في مثل هذه المناسبة:– "**وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح**" إعمالاً لما سبق ذكره في بعض الآيات والأحاديث المتقدمة حينما ذكر الله سبيل المؤمنين، وذكر نبيه الكريم أصحابه، لم يكن ذلك إلا لحكمة بالغة؛ وهي: **أنه يجب الرجوع إلى فهم الكتاب والسنة على ما كان عليه سلفنا الأول: الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين–.**

على هذا يأتى هنا شيء هام جدًا يغفل عنه كثير من الجماعات الإسلامية أو الأحزاب الإسلامية القائمة اليوم على وجه الأرض؛ ألا وهو: **ما هو السبيل إلى معرفة ما كان عليه الرسول عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير؛ ثم معرفة ما كان عليه أصحابه من فهم وتطبيق لهذه السنة؟**

لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى علم يُعرف عند العلماء قاطبة "بعلم الحديث"، "علم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل". له قواعده وله إصطلاحاته بها يتمكن العلماء من أن يعرفوا ما صحَّ عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم مما لم يصح.

أكثر الجماعات الإسلامية لا يرفعون اليوم رؤوسهم أولاً: إلى ما يُعرف بالسنة، والسنة في لغة الشرع أعم وأشمل منها في عرف الفقهاء؛ ذلك لأن الفقهاء يطلقون لفظة السنة على ما كان من العبادات غير المفروض على المسلم؛ ففريضة وسنة؛ **لكن السنة في لغة الشرع: هي الطريقة والمنهج والسلوك الذي سلكه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم في تفسيره وبيانه للقرآن وتطبيقه تجاهه،** على هذا جاء قوله عليه الصلاة والسلام –في الحديث الصحيح– والمتفق عليه عند

الشيخين- من حديث أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**من رغب عن سنتي فليس مني**)).

فليس المقصود هنا من رغب عن سنتي هنا سنة الفجر، سنة الظهر القبلية والبعدية إلى آخر ما هنالك من السنن الرواتب، ليس هذا هو المقصود في هذا الحديث؛ وإنما المقصود به **السنة والطريقة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذه الأمة كبيانه للقرآن كما سبق عليه الكلام**.

والذي يؤكد لنا هذا المعنى شيئان اثنان:

أحدهما: يتعلق بسبب ورود الحديث.

والشيء الآخر: اتفاق الأمة أنَّ من حافظ على الفرائض وانتهى عن المحرمات؛ فهو -إن شاء الله من أهل الجنة-؛ كما جاء في صحيح مسلم: ((أن رجلاً قال: يا رسول الله! أرايت إن أنا صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وحللت الحلال وحرمت الحرام أأدخل الجنة؟ قال: نعم، إن أنت صليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وحللت الحلال، وحرمت الحرام؛ فأنت من أهل الجنة))، فإذن هنا لا شيء مما يُسمى في اصطلاح الفقهاء بالسنة؛ لأنه من قام بما سبق ذكره في الحديث من الفرائض يحول تركه للسنة بينه وبين دخول الجنة؛ لكنه على العكس من ذلك إذا ترك السنة بمعناها الشرعي؛ فلازم ذلك أنه حاد عن سبيل الرسول عليه السلام التي هي سبيل المؤمنين.

أما سبب الحديث؛ وهو الشيء الأول الذي يدل على المعنى الصحيح لهذه الجملة: ((**فمن رغب عن سنتي فليس مني**))

[انقطاع]

تقالُّوها؛ أي: وجدوا عبادته عليه السلام قليلة، وجدوها قليلة بالنسبة لما كان يدور في ذهنهم من أنَّ الرسول عليه السلام ينبغي أن يكون أعبد العباد فيما يتصوروه هم من العبادة، وهو بلا شك أعبدهم جميعًا، لكن ليست العبادة بكثرة صلاة وصيام؛ إنما هي بكثرة الإتيان من العبادات حسب

ما جاء به الرسول عليه السلام؛ فبناءً على ما كان قائماً في أذهانهم من مبالغة في العبادة؛ وجدوا عبادته عليه السلام قليلة، وكأنهم شعروا بأن هذا نقص في حق الرسول عليه السلام؛ فجاؤوا بتعليل من أبطل ما يكون -نرجو أن الله -عز وجلَّ- يغفره لهم بسبب صحبتهم لنبيهم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ حيث قالوا -بعد أن تقالّوا العبادة-: هذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم قد غَفر له ما تقدم من ذنبه، وكأنهم يقولون: لماذا يتعب الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم نفسه؟ ولماذا يجهدها ويتعبها وقد حصَّل غاية المنى؛ ألا وهو قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾؟ [الفتح: 1-2]، فإذن الرسول عليه الصلاة والسلام قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يبقى هناك ما يدعوه إلى أن يقوم الليل كله، ويصوم النهار كله، ويبتعد عن النساء كلهم، ولذلك عادوا إلى أنفسهم: أما نحن فلم نظفر بعد بمغفرة الله فيجب أن نسعى إلى عبادة الله -عزَّ وجلَّ- لعل الله أن يغفر لنا؛ فتعاهدوا بينهم؛ فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام، وقال الثاني: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء، وانصرفوا متعاهدين على هذا، ولما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أزواجه وأخبرنه بخبر الرهط، صعد عليه السلام المنبر، وخطب في أصحابه قائلاً: ((**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وكذا**)) يعيد أقوال كل منهم، هذا يقول: أصوم الدهر ولا أفطر، وذاك يقول: أقوم الليل ولا أنام، والثالث يقول: لا أتزوج النساء، وهذا من أدبه عليه السلام أنه يكني ويعرِّض ولا يصرح فيقول: ما بال فلان يقول كذا وفلان يقول كذا، لا ((**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا**))؛ لأنَّ المقصود ليس هو التشهير؛ وإنما هو التعليم؛ فقال عليه السلام: ((**أما أنا فإني أخشاكم لله وأتقاكم لله، أما إني أصوم وأُفطِر، وأقوم الليل وأنام، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**)) هذا موضع هذا الحديث، وهذا هو سبب ورود هذا الحديث: ((**فمن رغب عن سنتي فليس مني**))؛ أي: من جاء بعبادة يتعبد الله بها ويتقرب إلى الله زلفى، لم أتعبد الله بها فهو قد رغب عن فريقي وعن منهجي فهو ليس مني.

لو أن رجلاً لم يقم الليل مطلقًا، ولم يصم من الدهر شيئًا أكثر من شهر رمضان؛ فهو الذي يستحق أن يكون من أهل الجنة بشهادة ذلك الحديث، ولا يقال فيه: قد رغب عن سنة الرسول عليه والسلام؛ ولكنه لو صام مع رمضان صام كل الأيام التي لم ينهى الشارع الحكيم عن صيامها؛ ثم قام الليل في السنة كلها، والليل كله بطوله؛ فهو الذي رغب عن سنته عليه السلام؛ ولذلك فشتان ما بين القانع بالفرائض والذي يزيد على السنن ظانًا منه أنه قد زاد في الطاعة والعبادة، والواقع أنه قد خالف منهج الرسول وسيرته، من أجل ذلك قال عليه السلام في الحديث الصحيح: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)).

إذا عرفنا أن سنة الرسول عليه السلام التي نقلها لنا أصحابه الكرام وجب علينا أن نعرفها كما لو كنا نحياها معه عليه السلام، وكذلك بيان الصحابة لما بينه الرسول عليه السلام لهم، كان لابد من الرجوع -كما قلت آنفًا- إلى علم الحديث.

وعلم الحديث علم مستقل عن سائر العلوم الشرعية، ولا سبيل إلى التفقه في الدين ولا لفهم القرآن الكريم إلا بطريق هذه السنة؛ لذلك أعتقد وهذا -إن شاء الله- يكون نهاية هذا الجواب أنه لابد للمسلمين اليوم -أو بعبارة أوضح- **للمسلمين الذين يريدون أن يعيدوا العزة للإسلام والمجد للإسلام والحكم بالإسلام لابد لهؤلاء أن يحققوا أمرين اثنين:**

- أن يعيدوا إلى أذهان المسلمين شريعة الإسلام مصفاةً من كل ما دخل فيها مما لم يكن منها يوم أنزل الله -تبارك وتعالى- قوله: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: 3].

إعادة هذا الأمر اليوم كما كان في العهد الأول هذا بلاشك يحتاج إلى جهود جبارة من عديد من علماء المسلمين في مختلف أقطار الأرض ينشرون العلم الصحيح الذي هو القرآن ببيان السنة وبنقل الصحابة وفهمهم لها.

إن الرجوع إلى ما كان عليه الصحابة في فهم الشريعة أمر هام جدًّا، وهو شيء أساسي في إعادة المفهوم الصحيح للإسلام بعد أن تفرقت السُّبل وتعدَّدت الطُّرق حتى قال بعض غلاة الصوفية: "إن الطرق الموصلة إلى الله -تبارك وتعالى- هي بعدد أنفاس الخلائق"؛ لأن ذلك يعني أنهم ليسوا بحاجة إلى أن يدرسوا علم الكتاب وعلم السنة؛ بل يخلو أحدهم في خلوة ويشترط فيها أن تكون مظلمة؛ ولا يكتفي بذلك بل يغمض عينيه، ولا يقتصر على ذلك بل يضع رأسه بين ركبتيه؛ ظلمات بعضها فوق بعض مع ذلك فهو يهيئ نفسه بزعمه أن يتلقى-لا يقولون الوحي لأنهم إن قالوا ذلك خرجوا من دائرة الإسلام؛ لكن يقولون: يتلقى- الإلهام من رب الأنعام، فهو يعمل بمقتضى هذا الإلهام، فإذن هم ليسوا عندهم طريق واحدة توصل إلى الله -تبارك وتعالى- خلافًا لكل ما سبق بيانه.

فأنا أقول: أنه لابد لعلماء المسلمين حقًا أن يقرِّبوا هذا الإسلام مُصفًّى من كل ما دخل فيه، وما دخل في العقائد، وما دخل في الأحاديث -السنة- من أحاديث ضعيفة وموضوعة، وما دخل في الفقه من آراء فجَّة وأقوال غريبة جدًا الإسلام يتبرء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب -كما كان يُقال-، ثمَّ ما دخل في السلوك والأخلاق من انحراف عن ما كان عليه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم وأصحابه (من الاعتزال)، ما دخل في السلوك من الغلو في الزهد في الدنيا والانصراف عن الناس والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: ((**إن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**)).

يُصفُّون هؤلاء العلماء الإسلام من كل شائبة ومن كل دخيل دخل في الإسلام من أي جانب كان سواء في العقائد أو في الفقه أو في الحديث أو في السلوك.

ثم الشيء الثاني -مع هذه التصفية-: ينبغي أن يقترن العمل بهذا العلم.

فلذلك أنا ألخص ذلك في كلمتين:

لابد للجماعة المسلمة حقًا أن تقوم بواجب **أمرين اثنين: التصفية والتربية**

تصفية الإسلام -مما ذكرنا آنفاً- بحيث يعود المسلمون إلى فهمهم لدينهم كما لو كانوا في صحبة نبيهم أو على الأقل في صحبة أصحابه عليه الصلاة والسَّلام، يجدون الإسلام غضًا طريًا كما أنزل؛ **ثمَّ يكونون حريصين على تطبيق هذا الإسلام المصفى تطبيقًا عمليًا صحيحًا**.

فيوم يُهيِّئ للمسلمين مثل هذه التصفية ويوجهون ويربون على أساس العمل بها يومئذٍ -أعتقد- يفرح المؤمنون بنصر الله -تبارك تعالى-.

هذا ما يمكنني أن أقوله في هذه المناسبة، ونسأل الله لنا ولعامة المسلمين أن يُفهِّمنا الإسلام فهمًا صحيحًا على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح، وأن يوفِّقنا للعمل بذلك. إنه سميعٌ مجيب والحمد لله رب العالمين.

❁❁ ❁❁ ❁❁

2 – من المقصود في قوله: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))؟ (00:40:10)

سائل: يا شيخ! فيه من وجَّه حديث: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))، للطائفة المنصورة في جماعة من الجماعات الموجودة في الساحة الآن، فهم يوجِّهون هذا الحديث كما وجِّه بعض أئمة الحديث بأنهم لم يكونوا هم أهل الحديث -فلا أدري- كما قال ذلك الإمام أحمد والإمام البخاري وعلي بن المديني- ويقول: هم أهل الحديث، مما لا شك فيه هم السلفيون، فمن لم يكن على هذا المنهج فهو خارج من هذا الحديث، فما رأي فضيلتكم؟

الشيخ -رحمه الله-: نحن نعتقد هذا جازمين؛ لأنه كل من يدَّعي دعوى لابد أن يخرج من دعواه بالدليل، فالحقيقة أن كل جماعة نلاحظ اليوم أن هناك صحوة عامة وصحوة خاصة، الصحوة العامة تشمل كل المسلمين الذين كانوا من قبل من الغافلين فربتهم الحوادث والتجارب سواء كانت تجارب شخصية أو جماعية، أنه لابد للمسلمين أن يعودوا إلى دينهم؛ فعاد الكثيرون منهم إلى دينهم؛ لكن كلمة الدين بالمفهوم العام؛ لكن نحن يهمنا المفهوم الخاص للدين وهو -كما قلنا في الحديث

السابق-: ((**ما أنا عليه وأصحابي**)). هذا الفهم الخاص هو الذي يفيد المؤمنين وهو الذي يخلِّصهم من هذا الذل الذي أصابهم وران عليهم.

لما وُجِدت هذه الصحوة بدأنا -منذ عهد قريب جدًا- نسمع ممن كنا لا نسمع منهم من قبل كلمة الكتاب والسنة؛ إنما كنا نسمع منهم كلمة: إسلام والدين و ؛ من كلمات عامة، أما الرجوع إلى الكتاب والسنة فأصبحت -ممكن أن نقول:- موضة العصر الحاضر؛ أي: أن بعض الجماعات التي لا تتبنى الإسلام دينًا لها وسياسة لها وو إلى آخره؛ يقولون: نحن على الكتاب والسنة؛ ولكنك لو نظرت إليهم في أعمالهم وأقوالهم؛ بل وعقائدهم؛ لوجدتهم أبعد الناس عن الكتاب والسنة؛ لأنهم ليس عندهم من المعرفة بالكتاب والسنة إلا ما يشترك معهم عامة الناس، أما أن يكون عندهم علم تفصيلي -أولاً- بالخلافات التي توارثناها في هذه القرون الطويلة، ثم معرفة الراجح من المرجوح من هذه الموروثات؛ فهذا في الواقع لا نكاد نجد أحدًا من هذه الجماعات من يقوم بتحقيق ذلك إلا من ينتمي إلى أهل الحديث وإلى أهل السلف؛ ولذلك ففاقد الشيء لا يعطيه.

إذا كانت كل جماعة الآن تدعي أنها على الكتاب والسنة لماذا؟ لأنه صار معروفًا عند جميع المسلمين أن الدعوة إلى الكتاب والسنة هو الإسلام، فلم يعد يتمكن أحد من الدعاة مهما كان اقترابه أو ابتعاده عن منهج الكتاب والسنة أن يغض النظر عن الدعوة للكتاب والسنة، فإذا ما ادَّعى المدعون أنهم على الكتاب والسنة؛ قلنا لهم: ذلك ما كنا نبغ -أولاً-، وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ثانيًا.

ونحن في حدود ما علمنا واطلعنا من الجماعات الموجودة اليوم على وجه الأرض لا نجد من يحاول الاقتراب من الكتاب والسنة إلا الذين إما أن يُطلَق عليهم اسم: "أهل الحديث" أو اسم: "أنصار السنة" في بعض البلاد أو "السلفيين" في بلاد أخرى أو "أهل الحديث" في بعض أخرى وهكذا، أما الذين ينتمون إلى جماعات أخرى لا يتردد على ألسنتهم الاستدلال بالكتاب والسنة في كلِّ شئون حياتهم الذاتية الشخصية أو العامة أو الفكرية أو السياسة أو نحو ذلك، ما نجد عندهم

من يدندن دائمًا حول الكتاب والسنة؛ إلا كلمة: "الكتاب والسنة، نحن معكم على الكتاب والسنة"؛ لكن هاتوا ما عندكم من دليل على أنكم على الكتاب والسنة؛ فلا يَحرِّون جواباً.

إن بين أيدينا الآن مثالاً قريب العهد ومؤسف في آن واحد: هذا الغزالي المصري هو لا يتبرأ من الكتاب والسنة، ولا يقول أنا لا أدعو إلى الكتاب والسنة؛ لأنه لو قال ذلك انفضح أمره وانكشفت سريرته فهو يقول على الكتاب والسنة؛ لكن الكتاب والسنة ما هو عنده؟

إن كان من السنة فهو السنة ما صح عنده في منظاره الشخصي العقلي وليس ما صح عند علماء الحديث الذين كرسوا حياتهم طيلة هذه القرون الطويلة لمعرفة السنة الصحيحة من الضعيفة، كل هذه الجهود في كل هذه القرون مثل هذا الإنسان -وأمثاله كثيرون -مع الأسف الشديد- لا يقيموا لهذه الجهود وزنًا، كل ما في الأمر: الحديث الذي يوافق هواه أو منطقه أو ثقافته فهو صحيح، وما خالف ذلك فهو ضعيف، ولو أخرجه البخاري ومسلم، ولو اتفقت الأمة على تلقِّي هذا الحديث بالقبول.

مثل هذا النوع -كمثال- لا يقول: أنا لست على الكتاب والسنة؛ لكن الكتاب والسنة بريئان عنه؛ لأن السنة عنده تبعًا لهواه والقرآن يفسره أيضًا تبعًا لهواه، الفرق عنده أن القرآن لا يجرؤ أن يقول هذا لا يصح؛ لكن يقول هذا الفهم لا يصح، بينما هذا الفهم هو الذي جاءنا عن الصحابة وعن السلف، أما الحديث فما أجرؤه على الإنكار لأنه أهون وأخف [..] عنده في هدم السنة أن يقول- وكما يقول غيره كثيرون من الدعاة زعموا-: هذا حديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا تثبُت فيه عقيدة؛ وبذلك ترد بهذا المعول وتهدم أحاديث صحيحة لا إشكال عند علماء الحديث في صحتها.

فإذن ليس المهم ادِّعاء طائفة من الناس أو حزب أو جماعة من الناس أننا على الكتاب والسنة؛ لأننا نقول لهم: نريد أفعالاً ولا نريد أقوالاً، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

ونحن نعلم أن الجماعات التي تنتمي إلى أسماء معينة أو أحزاب سياسية ونحو ذلك فهذه لا تهتم بدراسة السنة إطلاقًا؛ بل قد يصرحون بأن هذه الدراسة تفرِّق الأمة وتفرِّق الجماعة وأن البحث في أن هذا حديث صحيح وهذا غير صحيح، وأن هذا سنة وهذا بدعة هذا سابق لأوانه؛ فبعضهم يقولون -في مثل ذلك المباحث-: ليست من اللباب إنما هي من القشور.

فلا شك ولا ريب أن الدليل الناهض على أن الذين يصدُق عليهم أنهم من الفرقة الناجية كما جاء في الحديث الصحيح آنفًا؛ إنما هم الحريصون -كما قلنا آنفًا- على فهم الكتاب والسنة في كل شئون حياتهم، ويطبقون ذلك حسب قدرتهم وطاقتهم وهي: "جماعة الفرقة الناجية"، ومن علامة هؤلاء: أنهم لا يتحزبون لحزب واحد، ولا ينتمون لرأس واحد يأمرهم بما يشاء، وينهاهم عن ما يشاء؛ إنما مرجعهم كلهم إلى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: 59].

فالفرقة الناجية هي فرقة أهل الحديث والسنة وليست هي أهل السنة والجماعة -كما يقولون اليوم-؛ لأن هذا الاسم اصطلحوا على أن يُدخِلُوا تحته -تحت أهل السنة والجماعة- يدخل الأشاعرة، يدخل الماتُرِيدية، أخيرًا يدخل أهل الحديث الذين ينبغي أن يذكروا مقدمًا وسلفًا!

بينما هؤلاء لا يتبنون الرجوع كما نتبناه إلى الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح؛ أعني: الأشاعرة والماتريدية، وهم من علماء الكلام الذين اضطُّروا إلى أن يقولوا كلمة حق؛ لكن يراد بها باطل؛ وهي قولهم: "علم السلفِ أسلم، وعلم الخلف أحكم وأعلم". إذن نسبوا الجهل إلى السلفِ ونسبوا العلم إلى الخلف، وهذا عكسٌ لكل ما ذكرنا آنفًا، ولغير ذلك من النصوص

فأهل الحديث هم أهل النبي وإن .. لم يصحبوا نَفْسَه، أنفاسه صحبوا

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الحديث العارفين بكتاب الله ثم بصحيح سنة رسول الله، ثم العاملين بذلك على منهج أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم.

-والآن نستعد للصلاة إن شاء الله-

❁❁ ❁❁ ❁❁

3- يقول السلفيون أننا في زمان يُكادُ للإسلام فيه، فلابد على السلفيين أن يقوم بالعمل منظم، فكسف السبيل في توجيه هؤلاء؟ (**00:51:01**)

سائل: بعض الإخوة الذين ينتسبون إلى هذه الدعوة -وأعني بها الدعوة السلفية- يقولون: أننا في زمان يكاد يكون اتصل العالم بعضه ببعض، وصار من الإدارة والتخطيط إلى غير هذا مما ينكر به للإسلام ويكاد له، يقولون: أنه مما لا شك فيه أننا لا نستطيع أن نواجه هذه الدعوة المضادة للإسلام عمومًا وللدعوة السلفية خصوصًا إلا بعمل منظم كما هم منظمون -أعداء الإسلام منظمون-، فيتأولوا ويقولون أن لا بد لنا أن نقوم بعمل منظم، عمل -يعني ما يسمونه- فيرتبون العمل على أن يكون لنا رئيس وعلى أن يكون هناك أسر، وعلى أن تكون هناك أشياء سرية للغاية لا يعرفها إلا خواص المنتسبون لهذا التنظيم، فكيف السبيل في توجيه هؤلاء الإخوة الذين نعلم أنهم حريصون على الدعوة السلفية، وعلى دعوة الناس إلى الخير بالكتاب والسنة؟

الشيخ رحمه الله: إذا كان المقصود بالتنظيم: تنظيم الدعوة فهذا -لا شك- أمر لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان -كما قيل في قديم الزمان-، أما إذا كان المقصود بالتنظيم للجماعة السلفيين تنظيمًا سريًا كما وقع فيه قديمًا الإخوان المسلمون ثم لاقوا مصيبتهم التي أرجعت بدعوتهم القهقرى؛ فالتنظيم السري ما في حاجة إليه اليوم إطلاقًا.

وأنا في اعتقادي أنَّ واجب الدعاة السلفيين أن يستمروا في طريقة الدعوة إلى الكتاب والسنة هكذا علنًا لا خفاء فيها إطلاقًا؛ لأن هذه الدعوة من طبيعتها أنها أقرب قبولاً وألصق بالقلوب الصافية والفطر السليمة، ولا شك أن الأمر -في النهاية- ستكون الدولة لها، وليس بحاجة لأن يعملوا سرًا، ويوم تجتمع قلوب المسلمين -كما أشرنا آنفًا- على فهم الإسلام فهمًا صحيحًا وتطبيقه

تطبيقًا صحيحًا؛ يومئذٍ ستقوم قائمة الدولة الإسلامية المنشودة لدى الجميع، وتحكيم الكتاب والسنة -كما هو أيضًا مقصود الجميع-.

أما العمل السياسي والسري -سواءً- حتى لو كان عملاً سياسيًا جهرًا لا سر فيه أنا أعتقد أنه من الصوارف التي تصرف الدعاة إلى الله عن دعوتهم إلى الله إلى الاشتغال بالأمور السياسية، ستصرفهم عن ما هو أوجب واجب عليهم من الدعوة.

أنا قلت -آنفًا- أن أوجب ما يجب على علماء المسلمين أن يصفوا هذا الإسلام مما دخل فيه، وأن يقترن ذلك بتربية الذين صُفِّيَ الإسلام لهم على هذا الإسلام المصفَّى. أين هذه الجماعة التي قامت بالواجب الأول ثم بالواجب الثاني ولم يبقى عندهم إلا العمل السياسي؟ أنا لا أجد هذا الآن ولن أجده مهما طال بي الزمان؛ لأن هذا يحتاج إلى زمن كبير وكبير جدًا.

لأنني انظر إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم والذي كان ممدودًا بحبل السماء، ومشدودًا قواه بالقوي الأمين جبريل -عليه السلام-، ظل في قومه ثلاثًا وعشرين سنة يدعو إلى الله، في آخر الأمد من حياته استطاع أن يضع النواة للدولة المسلمة؛ ثم بارك الله فيها بأصحابه الذين ورثوا الخلافة من بعده، وانتشر الإسلام كما هو معلوم لدى الجميع فلا فائدة من التكرار، فهكذا التاريخ يعيد نفسه.

فأنا لا أجد الآن على وجه الأرض جماعة إن كانوا مثلاً مائة أو كانوا ألفًا أو ألوفًا أو يزيدون على ذلك إنهم على قلب رجل واحد فهمًا للإسلام فهمًا صحيحًا، وتربية لأنفسهم على هذا الإسلام تربية صحيحة؛ فبهذا يجب أن يُشغل الدعاة الإسلاميين ..

[إلى هنا وانتهى الشريط]